مقدمة في البيئة والتنمية:

1- الإنسان والبيئة: علاقة من التنافس

تأسست العلاقة بين الإنسان والبيئة في فترات مبكرة، هناك اعتقاد خاطئ بأن الجنس البشري كان يعيش في وئام مع الطبيعة ومخلوقاتها الأخرى في الماضي البعيد، وأن هذا التعايش المتوازن قد انقلب فقط خلال 200 عام الماضية. ومع ذلك، هذه ليست الحقيقة، فما تغير حقًا مؤخرًا في تاريخ الإنسان هو القدرة على تدمير الحياة الطبيعية بمعدلات كبيرة، حيث يستمر هذا الجهد من البشر للسيطرة على البيئة حتى يومنا هذا.

فقد ألهمت الطبيعة الخوف لدى الإنسان في بداية تاريخ البشرية، وكان على الإنسان أن يكافح العناصر الطبيعية من أجل البقاء. لم يتردد البشر أبدًا في إخضاع أو حتى تدمير الطبيعة والكائنات الحية الأخرى، إذ كانت تعتبر حيوية بأي شكل من الأشكال للبقاء.

هناك أدلة على أن الإنسان في عصور ما قبل التاريخ ارتكب عمليات ذبح جماعي للحيوانات واستخدم النيران على نطاق واسع إما لاصطياد الحيوانات البرية وتوجيهها إلى مصيرها النهائي والمميت أو لتحويل الغابات إلى أرض للزراعة.

على سبيل المثال، خلال العصر الجليدي، شهد العالم عددًا كبيرًا من حالات انقراض الأنواع الحية على الأرض. إحدى الفرضيات المتعلقة بالأسباب الكامنة وراء انقراض العديد من الأنواع الحية حوالي 11000 قبل الميلاد تقترح أن الانتشار العالمي للإنسان العاقل وممارسات العيش التي تعتمد على الصيد والجمع كانت مسؤولة عن هذه الوفيات.

اختبر روبرتس هذه الفرضية من خلال فحص حالات الانقراض في أستراليا. وفقًا لقياساته، حدثت حالات الانقراض منذ حوالي 46400 عام في جميع أنحاء أستراليا، وبالتالي استبعدت أي تأثيرات مناخية من أواخر العصر الجليدي كسبب أساسي.

كما تمت ممارسة إزالة الغابات على نطاق صغير من قبل بعض المجتمعات بعشرات الآلاف من السنين قبل الوقت الحاضر، مع ظهور بعض أقدم الأدلة على إزالة الغابات في العصر الحجري الوسيط. من المحتمل أن تكون عمليات الاجتثات الأولية هذه قد صممت لتحويل الغابات المغلقة إلى أنظمة بيئية أكثر انفتاحًا.

ومع ظهور الزراعة في منتصف عصر الهولوسين، تمت إزالة مساحات أكبر من الغابات، وأصبحت الحرائق وسيلة شائعة بشكل متزايد لإعداد الأرض للمحاصيل. في أوروبا، كما يشير كابلان وآخرون إلى أن البشرية قد غيرت المناظر الطبيعية في أوروبا منذ إنشاء المجتمعات الزراعية الأولى في منتصف الهولوسين. لقد كان التأثير الأكثر أهمية على البيئة الطبيعية هو إزالة الغابات لإنشاء أراضي للزراعة والمراعي، واستغلال الغابات لحطب الوقود ومواد البناء. بل يمكن القول حتى أن انبعاثات ثاني أكسيد الكربون في ذلك الوقت كانت أعلى من تلك الحالية نتيجة لإزالة الغابات عن طريق قطع وحرق الغابات.

2- المشاكل البيئية الكبرى ومستقبلنا المشترك

يؤثر الإنسان على البيئة بشكل تراكمي: فلكل شخص تأثير سلبي على البيئة، حيث نحن لا ندرك الدور الذي تلعبه أنشطتنا اليومية البسيطة في تدهور البيئة كل يوم، فعندما نقود سيارتنا، ونطبخ الطعام، ونشغل مكيف الهواء، ونستخدم مصفف الشعر، يكون هناك تأثير على البيئة، ربما لا يبدو الأمر مهمًا للغاية، لكن إذا فكرنا في أن مليارات الأشخاص يعيشون على الكوكب ويتصرفون بطرق مماثلة، يصبح من الواضح أن التأثير التراكمي على البيئة هائل، وفي كثير من الحالات، يكون هذا التأثير طويل المدى، وبعد نقطة معينة قد يصبح أيضًا غير قابل للإلغاء. كما تجد العديد من الملوثات طريقها إلى البيئة من خلال الأنشطة البشرية التي تطرح المياه العادمة غير المرغوب فيها، والغازات السامة، والمخلفات السائلة والصلبة.

يتفاعل البشر مع البيئة بطريقة مستمرة وديناميكية طوال الوقت، فأفعالنا تخلق مشاكل بيئية لها عواقب حتى للأجيال القادمة، فلا ينبغي أن يُنظر إلى تصرفاتنا على أنها عدد من الإجراءات الفردية لأشخاص "متهورين"، ولكن يجب النظر إليها في سياق النموذج الاقتصادي الحالي، حيث تلعب الأسواق دورًا مركزيًا.

لقد قدمت نهاية الحرب الباردة فرصة تاريخية لإعادة النظر في وضعنا واتجاهنا على الأرض، فقد ثبت أن التهديد العسكري لم يكن المشكلة الوحيدة، فقد ظهرت كوابيس جديدة، حيث النموذج الاقتصادي القائم على زيادة الاستهلاك وضع أساس وجذور المشاكل البيئية العالمية التي نشأت.

ففي نظام الرأسمالية، يتم اتخاذ جميع القرارات المالية من قبل السوق، حيث يتفاعل المشترون والبائعون بحرية مع الحد الأدنى من تدخل الدولة أو أي تدخل آخر، وأي مورد طبيعي اقتصادي هو ملك

للأفراد أو الشركات وليس للدول، فالاقتصاديون ينظرون إلى الرأسمالية على أنها تدفق دائري للسلع والأموال بين الأسر والشركات التي تعمل بشكل طبيعي، بغض النظر عن المحيط البيئي.

نتيجة لذلك، كان تقدم المجتمع مرادفًا للنمو الاقتصادي، والذي تم التعبير عنه بالفعل من خلال الطلب المتزايد على المزيد من الخدمات والمنتجات . ولهذا، حتى لو سمي بالتنمية الاقتصادية، فهذا لا يعني شيئًا سوى النمو الاقتصادي الخالص. السؤال الذي يطرح نفسه بوضوح: بما أننا نسعى بلا توقف للنمو الاقتصادي، الذي يقوم على الاستهلاك الدائم للموارد الطبيعية التي هي جزء من رأس مال بيئي محدود، فهل هناك أي حدود لهذا النمو؟

تم إطلاق مشروع بحث بعنوان "مأزق البشرية" في عام 1970 في معهد ماساتشوستس للتكنولوجيا، وبعد ذلك بعامين ، صدر التقرير المتعلق بحدود النمو، ووفقًا لاستنتاجات التقرير، نظرًا لأن الأرض نظام مغلق، فمن الواضح أن النمو المتسارع للمتغيرات الرئيسية المختارة، مثل السكان، وإنتاج الغذاء، والتصنيع، والتلوث، واستخدام الموارد غير المتجددة، أمر مستحيل، أي أنه إذا استمرت اتجاهات النمو الحالية في هذه المتغيرات في المستقبل، فستكون مجرد مسألة وقت (100 عام) للوصول إلى حدود النمو على هذا الكوكب، وستكون النتيجة النهائية تدهوراً حاداً لا يمكن السيطرة عليه في القدرة الصناعية والسكان.

ولذلك فمن الواضح إذن أن الصحوة الجماعية للضمير والوعي الجماعي مطلوبة لتفادي هذا المسار إلى الدمار. ووفقًا للتقرير، يجب إنشاء حالة من الاستقرار الاقتصادي والبيئي بحيث يتم تلبية الاحتياجات المادية الأساسية لكل شخص على وجه الأرض ولدى كل شخص فرصة متساوية لتحقيق إمكاناته البشرية الفردية.

لم يكن هذا التقرير هو الأول الذي يشير إلى النمو. كان توماس روبرت مالتوس أول من جادل في عام 1798 بأن "قوة السكان أكبر إلى ما لا نهاية من القوة الموجودة في الأرض لإنتاج الكفاف للإنسان"، فقد جذبت أفكاره المتشددة حول التحكم في عدد السكان انتقادات هائلة، مما جعله لا يحظى بشعبية في عصره. فقد توقع مالثوس أن موارد الأرض كانت ستستنفد قبل عدة عقود. ومع ذلك، فإن التقدم التكنولوجي، وخاصة في مجال الزراعة، يتناقض مع نبوءة مالتوس ويسمح بالحفاظ على عدد سكان العالم المتزايد باستمرار وإطعامهم، ولكن ربما لم يخطئ مالتوس، وإنما فقط تم تأجيل الكارثة.